نقد التاريخانية كإسهام في البحث عن عالم أفضل عند كارل بوبر

* الباحثة: زهراء غاوي عيدان أ.م. د عبد الله عبد الهادي المرهج
جامعة واسط / كلية الآداب/ قسم الفلسفة

تاريخ الاستلام : 12-07-2021
تاريخ القبول : 29-08-2021

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث تركيز على نقد الفليلسوف نمساوي كارل بوبر (1902-1994) لمفهوم التاريخانية حيث انها نظرية تعنى بكل العلوم الاجتماعية، تجعل من التنبؤ التاريخي هدفها الأساسي، وتعلم ان هذا الهدف يمكن تحقيقه، اذا استطعنا ان نمسك بالاتجاهات العامة، والقوانيين التي تقبع خلف التطورات التاريخية. وقد سعى بوبر في مختلف مؤلفاته تفنيد إستنفاره العدائي ضد أبرز المفكرين التاريخانيين، من وجهة نظره، كأفلاطون، وفردريك هيجل، وكارل ماركس وغيرهم من الذين إعتبرهم قد وقعوا ضحية هذا المذهب الموهوم بقدرة التاريخ على ما سيحصل في المستقبل.

كلمات إفتتاحية: التاريخانية، عالم، افضل، بوبر، المجتمع المفتوح.

Criticism of Historicism as a Contribution to the Search for a Better World by Karl Popper

*Zahraa Ghawi Idan Dr.Abdullah Abdul -Hadi Al-Merhj
Wasit University – college of Arts

Receipt date: 2021-07-12
Date of acceptance: 2021-08-29

Abstract

This research attempts to focus on the criticism of the Austrian philosopher Karl Popper (1902-1994) of the concept of historicism. As it is a theory concerned with all social sciences, making historical prediction its main goal, and knowing that this goal can be achieved, if we can grasp the general trends, and the laws behind historical developments. In his various works, Popper sought to refute his hostile mobilization against the most prominent historical thinkers, from his point of view, such as Plato, Frederick Hegel, Karl Marx, and others who he considered to have fallen victim to this delusional doctrine of the ability of history to what will happen in the future.

Keywords: Historicism, world, best, popper, open society.

المقدمة:

شهد القرن العشرين تحولات، وتطورات جذرية في مختلف مجالات الحياة، اذ يعرف بقرن النزعة الشكية، وهو القرن ذاته، الذي شهد ميلاد فيلسوف العلم كارل بوبر(1902–1994)، فهو من الفلاسفة الذي سجلوا بصماتهم في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، لما قدمه للعلم من إسهامات جليلة، حيث شغل بوبر موقعا متميزا في ظل الثقافة المعاصرة، وعد بحق واحدا من اهم فلاسفة العقلانية النقدية، فهو لم يتردد ابدا في اعلان وثوقه بقدرة العقل على النقد، والفحص.

يؤكد بوبر باستمرا أهمية النقد لتحرير مستقبل الانسان، ومستقبل العلم من الخرافات العالقة به، فليس هناك ما هو أخطر على الشعوب، والحضارات من السكون، والركود، والخوف، من النقد، والاكتفاء بموقف الاعجاب ، والتمجيد.

تتميز فلسفة بوبر اذن بالنظرة النقدية، فقد قدم معيارا علميا لحل المشكلات ذات الخلفية الابستمولوجية، والسياسية، وليس التمييز فقط بين العلم واللاعلم، وعرف ايضا بموقفه النقدي إزاء كثيرا من الافكار، والنظريات، ومن بين النظريات التي انصب عليها نقد بوبر" النزعة التاريخانية" فقد كان بوبر من اشد منتقديها حيث عدها خطرا يهدد المجتمع، وانها منهج عقيم لا طائل منه، فقد وجه انتقادات صريحة، ومتينة لاصحاب التاريخانية الذين يدعون، ويدافعون عن حتمية التاريخ، واطراد قوانيه، وانه بالامكان الخروج بتنبؤات في المجال الاجتماعي شبيهة بالتنبؤات الحاصلة في العلوم الطبيعية من حيث الدقة، والوضوح، الا ان هذا المسعى قد رفضته فئة من المؤرخين، وفلاسفة العلم، وفي مقدتهم كارل بوبر. وبهذا المعنى فقد اضحت التاريخانية موضوع نقد واسع من طرف كارل بوبر.

البحث عن عالم أفضل

كل ما يحيا يبحث عن عالم أفضل. البشر والحيوانات والنباتات، وحتى الكائنات وحيدة الخلية كلها في حالة نشاط دائم، كلها تحاول أن تحسن وضعها، أو هي على الأقل تحاول أن تتجنب التدهور. وحتى عندما ينام الكائن الحي فأنه يحفظ بنشاطٍ حالة نومه. إن عمق النوم (أو ضحالته) هو حالة من صنع الكائن، حالة تُعزِز نومه (أو تبقيه يقظاً). كل كائن حي منشغل دوماً بمهمة حل المشاكل. تنشأ المشاكل عن تقييمه

لوضعه ولبيئته–الأوضاع التي يحاول الكائن تحسينها . وكثيراً ما يتضح أن الحل الذي يجربه الكائن مضلَل، إذ يجعل الأوضاع أسوأ. عندئذ تبذل محاولات جديدة–ينشط الكائن مرة أخرى يجرب ويخطئ(بوبر، 1999، ص 7).

يمكننا أن نلحظ أن الحياة– حتى على مستوي الكائنات وحيدة الخلية– تجلب إلى العالم شيئاً لم يسبق وجوده: مشاكل ومحاولات نشطة لحلها؛ تقييمات وقيماً؛ تجارب وأخطاء، بالتالي يؤكد بوبر على إن الكائنات إثناء بحثها عن عالم أفضل– تجد وتبتكر وتعيد تنظيم بيئات جديدة، ولكن أيضا كل الكائنات الحية ترتكب أخطاء، من المستحيل حقا إن نتنبأ بكل النتائج غير المقصودة لأفعالنا. والعلم هنا هو أملنا الكبير: إن منهجه هو إصلاح الخطأ(بوبر، 1999، ص9).

نقد التاريخانية:

لاحظ بوبر في كتابه بؤس الايدولوجيا في مقارنة له بين تطور العلم الطبيعي والعلم الاجتماعي إن الاهتمام بالعلم الطبيعي كان سابقا عن الاهتمام بالعلم الاجتماعي، وان مسيرة تقدم العلمين وتقويم مسيرتها يعود لهذا السبب، لان الاهتمام بالأبحاث في العلوم الطبيعة فقد سبق الاهتمام والأبحاث في العلوم الاجتماعية، وهكذا لا نستغرب إن وجدنا العلم قد نجح نجاحا باهرا في إقامة مناهج لائقة بالموضوعات التي يدرسها، ولا نستغرب تأخر العلم الاجتماعي في هذا الميدان. فإذا كانت العلوم الطبيعة الحديثة قد وجدت مع غاليلو، فان العلوم الاجتماعية يبدو انها لم تعثر بعد على غاليليها.(بوبر، 1992، ص11).

فمشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية لم تعرف الحل لحد الان والدارسون انقسموا فيها إلى فئتين: فئة، تعتبر منهج الفيزياء قابلا للتطبيق على العلوم الاجتماعية. وفئة تعتبره غريبا عن العلوم الاجتماعية. والموقف التاريخاني موقف متميز مع ذلك في المجوعتين وهناك مؤيدين أو أنصار المذهب الطبيعي الذين يشجعون تطبيق منهج الفيزياء وهناك المعارضين أو أعداء المذهب الطبيعي، معارضين لتطبيق منهج الفيزياء بالعلوم الاجتماعية (بوبر، 1992، ص12)

ماذا يعني كارل بوبر بمصطلح التاريخانية؟ .

التاريخانية يفهمها بوبر" هي طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية تفترض إن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية . كما تفترض إمكان الوصول إلى هذه الغاية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الأنماط أو الإيقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقا لها (بوبر، 1992، ص13).

وفي كتابه أسطورة الإطار يوضح بوبر سبب اختياره لهذا المصطلح (النزعة التاريخانية) يقول بهذا الصدد لقد أطلقت النزعة التاريخانية على النظرية التي تقول بوجود خطة للتاريخ، سواء كانت إيمانية أم الحادية ، ويشير بوبر انه أطلق هذه التسمية على الذين يدعون بان التاريخ في سيره خاضع لخطة معينة، يوضح بوبر إن الإجابة الإيمانية أقدم الإجابات على هذا السؤال

أنها إجابة الإنجيل وإشعار هوميروس فثمة خطة للتاريخ ولكن لا يمكن إدراكها إلا بصورة مبهمة لأنها ناتجة عن مشيئة الرب أو الأرباب .(بوبر،2003 ، ص 161-162)

قدم كارل بوبر نقد للنزعة التاريخانية حيث قال إن التاريخانية بأنها خطا من أقصاها إلى أقصاها، التاريخاني يرى التاريخ مثل مجرى الماء مثل نهر جاري، ويعتقد انه يستطيع إن يتوقع أين يمر الماء التاريخاني يعتقد انه أكثر ذكاء لأنه يرى الماء ويتصور أو يتخيل إن بإمكانه إن يتكهن بالمستقبل، يرى بوبر إن هذا الموقف خاطئ كلية بإمكاننا إن ندرس التاريخ كما نشاء يمكن إن ندرس ما مضى، لكن ما مضى قد انتهى، وانطلاقا من هذا فإننا لسنا في المستوى الذي يسمح لنا بالتنبؤ بأي شيء ، ولاجل متابعة علينا فقط ان نتحرك ونحاول جعل الأشياء أفضل أو أحسن، فاللحظة الحاضرة هي اللحظة الذي انتهى فيها التاريخ وان ليس بمقدورنا إن ننظر إلى المستقبل ونحن نعتقد انه بإمكاننا إن نتكهن به (بوبر، 2008، ص 60) .

من النظريات التاريخية التي انتقدها كارل بوبر هي النظرية الماركسية حيث يصفها بأنها نظرية التاريخية التي تزعم بأنه يمكننا التنبؤ بيقين مطلق وعلمي بنفس الوقت بمستقبل البشرية، بتعبير أدق تزعم الماركسية بأنه بإمكانها التنبؤ بالثورات الاشتراكية مثلما يمكن للعلم الفلكي النيوتوني إن يتنبأ بخسوف القمر أو كسوف الشمس (بوبر، 1994ص314).

وهذا ما وضحه بوبر في كتابه عقم المذهب التاريخي حيث يقول " لا ينبغي لنا إن نأمل في الوصول إلى دقة التنبؤات الفلكية، ولا ينبغي إن نحاول تحقيقها، إن فكرة إنشاء تقويم دقيق للحوادث الاجتماعية يشبه تقويم الملاحة مثلا، هي فكرة مستحيلة منطقيا فحتى لو أسلمنا بإمكان التنبؤ بالثورات في العلوم الاجتماعية، فمثل هذا التنبؤ لا يمكن إن يكون دقيقا ولا بد إن ينقصه التحديد فيما يتعلق بتفاصيل هذه الثورات وأزمنة حدوثها " (بوبر،1959،ص50-51).

إن نقد التاريخانية عند بوبر مرتبط بنقد الحتمية فان الحتمية التي يحاربها بوبر هي الحتمية العلمية التي تقول " إن حالة الكون في إي لحظة من الزمان في المستقبل والماضي، هي محددة كلية إن كانت حالة الكون وموقفه أعطيا في لحظة ما على سبيل المثال الحاضر"(مذبوح،2009، ص230). فتكونت فلسفة بوبر ردا على الحتمية التي هيمنت على فلسفة هيجل وماركس وقبلهم أفلاطون ومن وجود قوانين تحكم المستقبل. إما بوبر ينطلق في بناء نظريته في المعرفة، من كون النظريات العلمية، التجريبية وغير التجريبية منها على حد سواء، ليست سوى مجموعة من الفرضيات والتخمينات، يقع على عاتق التجربة، والوقائع المادية والقضايا المنطقية فحصها وتمحيصها ومراقبتها معززة لها تارة في حال صمودها إمامها أو على العكس مفندة

لها جزئيا أو كليا تارة أخرى في حال دحضها من قبلها (بوبر، 2007،ص22). هذا يعني قبل كل شيء إن النظرية تبقى قائمة حية طالما لم تنقض بعد فهي ليست أزلية ولا تحمل بالتالي في طياتها إي حقيقة مطلقة.

ولتلخيص التفنيد البوبري للتاريخانية نقول إن تفنيد بوبر للتاريخانية يقوم على فكرة إن مجرى التاريخ الإنساني متأثر جدا بنمو المعرفة الإنسانية، وانه ما دمنا لا نستطيع التنبؤ بمستقبل نمو معرفتنا العلمية فلا نستطيع كذلك التنبؤ بمجرى التاريخ (بوبر، 1992، ص7-8).

وهذا معناه إننا يجب إن نرفض إمكان قيام تاريخ نظري؛ إي إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري. ولا يمكن إن نقوم نظرية العلمية في التطور التاريخي تصلح إن تكون أساسا للتنبؤ التاريخي. إذن عند بوبر قد أخطا المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوصل إليها بمناهجه (بوبر،1992، ص8).

يدخل رفض التاريخانية ضمن مشروع بوبر نحو المجتمع المفتوح وأعدائه ، هو كتاب لبوبر يتكون من جزأين يعتبر تكمله لكتاب بؤس الايدولوجيا وكذلك الأكثر أهمية.

يرى بوبر إن كل من التاريخانية والنزعة اليوتوبية، هما دعاة الانغلاق فأفلاطون وهيجل وماركس هم أعداء لمجتمع المفتوح إذن يجب معرفة ما هو المجتمع المغلق، وما هو المجتمع المفتوح، ميز كارل بوبر بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح فقد بين "إن المجتمع المغلق الذي يشبه الكائن العضوي البيولوجي وينطبق عليه إلى حد كبير ما يسمى بالنظرية العضوية أو البيولوجية للدولة فالمجتمع المغلق يشبه القطيع أو القبيلة في انه وحدة شبه عضوية يرتبط أعضاؤها يبعضهم البعض بروابط شبه بيولوجية كالنسب والحياة المشتركة والمشاركة في المجهود الجماعي والإخطار المشتركة وإلا فراح المشتركة ....الخ أنها لا تزال جماعة متعينة من إفراد متعينين يرتبط كل واحد منهم بالأخر ليس عن علاقات اجتماعية مجردة كتقسيم العمل أو تبادل السلع وإنما عن طريق علاقات فيزيقية متعينة كالمس والشم والرؤية "(بوبر،1998، ص173) .

يعتبر بوبر أفلاطون منظر للمجتمع المغلق والشمولية فيقول بوبر "يحلم أفلاطون بالثورة الكشفية النبوئية التي ستغير من شكل العالم الاجتماعي كله، وهذا الشمول وهذه الراديكالية الصارمة للمداخلة الأفلاطونية مرتبط فيما اعتقد بنزعتها الجمالية، أي بالرغبة في بناء عالم ليس فقط أفضل قليلا وأكثر عقلانية من عالمنا، بل متحرر من كل بشاعته ليس ثوبا قديما مرقعا على نحو رديء، وإنما رداء جديد تماما عالم جديد حقا ". (بوبر،1998، ص165-166)

ولن نعثر في كل مكان من هذه النزعة الجمالية معبرا عنها بقوة أكثر ما هو عند أفلاطون، فأفلاطون كان فنانا ومثل العديد من أفضل الفنانين حاول إن يتصور نموذجا الأصل سماوي لعملة وان ينسخه (بوبر، 1998، ص166) . بذلك تتميز نزعة اليوتوبية عند افلاطون بهذين البعدين البعد الراديكالي والبعد الجمالي، ومثل هذه الطموحات تصدم بوبر، كونها تأليف مبدع رائع، ولكن يعتبرها أيضا ميلا خطيرا نحو اللاعقلانية: لان هاتين النزعتين (الراديكالية والجمالية) كما تمثلها اليوتوبيا تتصلان في النهاية بالإلهام دون إن تأخذ بالحسبان إننا نستطيع فقط التعلم من خلال المحاولة والخطأ بافتراضنا لأخطاء، وقيامنا بتحسينات(مذبوح،2009،ص312).

اما هيجل فيعتبره بوبر الفيلسوف الذي وضع نفسه في خدمة حاكم بروسيا فردريك ويليام الذي فرض فلسفة هيجل وعمل ما في وسعه لا بقائه وحده في الساحة، كما يعتبر بوبر هيجل رمز الفيلسوف اللامسؤول الذي باع ضميره من اجل السلطة وخدمة السلطة، ووصفه أيضا بالكاهن بامتياز فلاهوته الفلسفي، الروح المطلق ، وتحقيق العقل في التاريخ كلها نبوءات كاهن وبوبر هو نفسه يعتر إن هيجل مصدر كل التاريخانية المعاصرة (مذبوح،2009،ص320).

إما نقد بوبر لكارل ماركس الذي يصفه بالنبي المزيف للإشارة إلى التناقض الذي وقع فيه ماركس، فهو يعتبر الدين أفيونا للشعوب من جهة في الوقت الذي يحاول فيه إقامة أعظم حلم ديني دعا إلية الأنبياء فيه خلاص البشرية، من معاناتها الدنيوية وشقاها بدعوة البشر للامتثال لكلمة الله والصبر حتى يفوزا بعد الموت بحياة أخرى، لأضنك ولا شقاء فيها وهي السعادة والكمال كله إلا وهو الجنة التي أراد إقامتها ماركس على الأرض من جهة أخرى في مجتمع شيوعي بلا طبقات(مذبوح،2009،ص382)

لذلك يقول بوبر في كتابه المجتمع المفتوح إن هذا الموقف اللاعقلاني الذي ينبثق من التسمم بأحلام العالم الأجمل الذي ادعوه العالم الرومنسي انه ينشد مدينته السماوية في الماضي أو في المستقبل، انه يدعو إلى العودة إلى الطبيعة أو (الكون إلى عالم والجمال)، لكن دعوته هي دائما موجهة إلى عواطفنا أكثر ما هي موجهه إلى عقولنا وموازاة مع هذا فان أفضل النوايا لإقامة الجنة على الأرض سينجم عنها إقامة النار عليها فقط التي يعتبر الإنسان هو وحده الذي يحضرها للأجيال القادمة(بوبر، 1998، ص168).

من الجدير هنا بالذكر إن كارل بوبر في شبابه كان شيوعيا حيث في فترة 1919 قال ذهبت إلى مقر الحزب الشيوعي النمساوي وعرضت عليهم مساعدتي فيبرر ذلك بقوله إن المذهب الشيوعي هو اعتقاد بظهور عالم أفضل يقال انه مؤسس على

قوانين الصيرورة التاريخية إذا كانت هذه النواة فعلى كل واحد واجب بديهي وخصوصا الذين هم مثلي يكرهون العنف والحرب إن يؤيد الحزب الذي سيحقق أو سيساهم في تحقيقه ولكن بوبر يصف الشيوعية بالفخ الذي وقع فيه؟ ويبين ذلك إن ماركس تنبأ بان الاشتراكية أو الشيوعية يجب إن تتحقق لقد كانت الضرورة التي يمكن إن تقام بكل يقين من خلال دراسة التاريخ والاقتصاد وإنها يمكن البرهنة عليها . الشيوعية هي شي يجب إن يحدث، الرأسمالية مجتمع غير مقبول يجب إن ينتهي هذا ما يجب إن يحدث وانه بعد تحقيق الشيوعية سيكون هناك مجتمع رائع مجتمع جديد كلية يتحاب الناس فيه ويحبون بعضهم بعض ويسود السلام على الأرض وهذا هو تنبؤ ماركس يمكن تأسيسه بكل يقين علمي كلية هذا السبب الذي به عرفت المذهب الشيوعي كفخ كنوع من فخ الفار ولقد كنت الفار (بوبر، 2008، ص25).

إن الشعور عن المسؤولية جعلت كارل بوبر يبتعد عن الشيوعية حيث يذكر حدث جرى في حياته جعله يفر من الماركسية ووصف هذه الحادثة بالكارثة، وهي عندما أطلق رجال الشرطة ذات يوم من أيام شهر يونيو 1919م، الرصاص على إحدى المظاهرات التي قام بها شباب من الحزب عزل من السلاح، كان نتيجة هذا إن مات ثمانية أشخاص لم يكن تصرف الشرطة هو وحده من أغضبني ولكنني غضبت من نفسي، فإضافة بأنني كنت مشاركاً في المظاهرة فلقد شجعت غيري من الشباب على الاشتراك، وربما كان البعض منهم من القتلى لماذا ماتوا ؟ ، لقد شعرت بالمسؤولية تجاههم وتوصلت إلى نتيجة وهي على النحو التالي : نعم من حقي أخاطر بحياتي الخاصة من اجل مثل أومن بها، ولكن ليس من حقي إن أشجع غيري على إن يخاطرون بحياتهم ، وعندما ذهبت إلى مقر الحزب وجدت وجهه النظر فيها على النحو التالي، لابد للثورة من ضحايا من ذلك اليوم انتهت صلتي بالحزب ولم اعد اذهب إلى هناك وهكذا فررت من الحالة الماركسية(بوبر، 1994،ص318-319).

لذلك جاء نقد بوبر للماركسية بان الحلم بعالم أفضل، ليس حتميا إن يكون رأسمالياً أو اشتراكيا، شيوعيا كما قال ماركس بل ثمة طريق ثالث هو الديمقراطية الاجتماعية، وان النضال من اجل المساواة والعدالة والحرية ومحاربة الفقر والتهميش، لا يتم بواسطة ثورة دموية تؤدي إلى سلب حريات كثير من الناس بالقوة والعنف، كما إن الثورة تأكل أبنائها والى سجن كبير لمواطنيها كما حدث لكثير من الثورات في العالم. إن دعوة بوبر لاعتماد الإصلاح بدل الثورة لا يعني انه من أنصار ترك الأمور لحالها، ولا استسلاما للواقع التعيس، بل تحمله دعوة الإصلاح أيضا الحلم بعالم أفضل والوعي بالمشاكل والصعوبات التي تواجه البشرية (مذبوح،2009، ص421-422).

وهذه الدعوة نجدها في المجتمع المفتوح هو المجتمع الديمقراطي الذي لا يحكمه تصور نهائي محدد، بل يسير بخطوات متتابعة تسيرها المحاولة المستمرة للتطور والتقدم محاولة منفتحة على الأفكار والتوجيهات النقدية وغير محكومة بأفكار مسبقة. إن دعوة كارل بوبر إلى الانفتاح هي دعوة ترفض التعصب والعنف ودعوة لتفادي البؤس، بل هي أيضا نداء سلام في المجتمع الديمقراطي المنفتح (حمداش، 2012،ص 159).

ويبين ذلك في كتاب بحثا عن عالم أفضل ، فيقول نجاح البحث عن عالم أفضل خلال أعوام حياتي السبعة والثمانين التي شهدت حرب عالميتين بلا معنى ودكتاتوريا مجرمة فبالرغم من كل شي وبالرغم من إخفاقاتنا الكثيرة، فنحن مواطنين الديمقراطيات الغربية نحيا في نظام اجتماعي أفضل (لأنه معد للاستجابة للتقويم)، وأكثر عدلا من إي نظام في التاريخ المسجل ولازالت التحسينات الإضافية مطلوبة بإلحاح كبير، ويذكر بوبر شيئين يعتقد نجحا في تحسينها الأول الأهم بينها هو اختفاء الفقر المدقع الواسع النطاق الذي كان منتشرا أيام طفولتي وشبابي إما الثاني فهو لإصلاح القانون الجنائي(بوبر، 1999،ص 9).

يعترف كارل بوبر بان الحضارة الغربية ناقصة لكنه يرى انه أمر بديهي فمن السهل إن ندرك إن المجتمع المثالي مستحيل ذلك إن إمام كل القيم التي يلزم إن ينظمها مجتمع هنالك قيما أخرى تعارضها، حتى الحرية التي قد تكون هي اسمى القيم الشخصية الاجتماعية حتى هذه لا بد إن تكون مقيدة ، كما يقول اعتقد إن الحضارة الغربية وبالرغم مما قد نجد من أخطاء هي الأكثر تحرر هي الأكثر عدلا هي الأكثر إنسانية هي الأفضل، من بين كل ما اعرف من حضارات عبر تاريخ البشرية كله أنها الأفضل والأكثر قابلية للتحسين (بوبر، 1999، ص 151).

وهذا ما دعا إليه في كتاب المجتمع المفتوح حيث قال " إن المجتمع المفتوح يكافح أعضاء كثيرون من اجل الصمود الاجتماعي، واحتلال أمكنة أعضاء آخرين وقد يؤدي على سبيل المثال إلى ظاهرة اجتماعية هامة، كالصراع الطبقي ولا يمكننا إن نعثر على إي شي شبيه بالصراع الطبقي في المجتمع العضوي، إذ إن خلايا أو أنسجة الكائن الحي التي يقال أنها تنطبق على أعضاء الدولة قد تتنافس على الطعام بيد انه ليس ثمة ميل متأصل في الساق إن يسعى إلى إن يصبح الدماغ أو الأعضاء الأخرى للجسم إن تصبح البطن ولأن لا شي من الكائن العضوي يتأخر واحده، إما المجتمع المغلق فمؤسساته وتراتبيته وطوائفه لا تمس لأنها محرمات"(بوبر، 1998، ص173).

من خلال ذلك يتبين لنا إن دعوة كارل بوبر إلى الانفتاح هي دعوة ترفض التعصب والعنف دعوة لتفادي بؤس، بل هي أيضا نداء سلام في مجتمع ديمقراطي منفتح وذلك يعود بالأساس إلى فلسفته التي تدعو بالوعي بالمشكلات والعمل على حلها بيقظة نقدية تحت استمرارية ،البحث عبر أفاق المستقبل المنفتح الذي نحدد من خلاله ما سيحدث انطلاقا من أفعالنا (حمداش، 2012، ص160). والواقع إن نظرية بوبر في الإصلاح التدريجي للمجتمع تشبه في بعض جوانبها نظريته في نمو المعرفة العلمية، فالعلم لا يصل إلى حقائق نهايته دفعة واحدة ، ولكنه يقترب من الحقائق شيئا فشيئا من خلال التراكم التدريجي للنظريات ومناهج البحث الذي يتلافى كل منها أخطاء المراحل السابقة مع ذلك فان بوبر لا يمكن إن يكن كراهية للتغيير الثوري في مجال المعرفة العلمية مثلما يكن الكراهية للتغير الثوري في مجال المجتمع ، لان الثورة العلمية لن تكون بطبيعة الحال مجالا لسفك الدماء (كوينتون، د.ت،ص99)

بذلك إن فكرة المجتمع المفتوح عند كارل بوبر تتعلق بمستقبل مفتوح لذلك يرى إن المستقبل المفتوح هو غير محدد بشكل مسبق ومن هنا لا يمكن لأحد إن يتنبأ به .لا يمكن التنبؤ بالإمكانيات الكثيرة – الخيرة والشريرة على السواء الكامنة في المستقبل فالتفاؤل واجب لذلك إن واجبنا إن نفعل ما في وسعنا لتحقيق الأشياء التي يمكن إن تجعل المستقبل مستقبلا أفضل بدلا من إن نتنبأ بالسوء(بوبر،1994،ص335.

لذلك يرفض كارل بوبر التاريخانية من اجل مستقبل مفتوح . كما يرى إن المستقبل متعلق بنا نحن بنا جمعيا انه متعلق بما تفعله وافعله ويفعله غيرنا من الناس اليوم وغدا وبعد غد، وما تفعله وما ستفعله متصل هو الأخر بفكرنا ورغباتنا وأمالنا وتخوفاتنا بتعبير أخر انه متصل برؤيتنا للعالم وبحكمنا وتقديرنا للإمكانيات الكبيرة والواسعة والمفتوحة التي يحملها لنا المستقبل (بوبر، 2008، ص103)

إذن ما يريد توضحيه بوبر إن البحث عن عالم أفضل واحد من أقدم واهم غرائز الحياة جميعا . نحن على الحق في إن نؤمن بأننا نستطيع في إن نسهم في تحسين عالمنا، لكن لا يجب إن نتصور إننا نستطيع إن نتنبأ بنتائج خططنا وأفعالنا، ولا يجب قبل كل شيء إن نضحي بأية حياة بشرية، وليس لنا الحق إن نحض الآخرين أو نشجعهم على التضحية بأرواحهم . على إي حال إن بعضا من بحثنا عن عالم أفضل يلزم إن يتضمن البحث عن عالم لا يدفع فيه الآخرون إلى التضحية بأرواحهم من اجل فكرة (بوبر، 1999، ص43).

الان وقد اشرفنا على تمام دراستنا يجدر بناء التوقف عند اهم ما استخلصناه، وعلى ضوء ما سبق فان اهم التنائج التي توصلنا اليها من خلال دراستنا للفكر البوبري في نقده للنزعة التاريخانية.

1- لا يمكن ان نتجاهل الاعمال العظيمة التي قدمها كارل بوبر للابستيمولوجيا المعاصرة، فلولا جهوده، واسهاماته القيمة في سبيل العلم، لما استطاع الباحث المعاصر إعادة بناء كل شيء على اسس معرفة متينة.

2- ان النزعة التاريخانية كمصطلح لم ترى النور الا في العصر الحديث، لكن ينبغي علينا الاشارة الى ان هناك بذور اولى للتاريخانية على مر العصور، لكن ليس بالمفهوم الحديث.

3- نقد بوبر للنزعة التاريخانية لم يتوقف على البعد الابستيمولوجي فحسب، فنحن نلمس في هذا النقد حضور الايديولوجي، وذلك من خلال قراءة بوبر للماركسية، فتفسير ماركس المادي للتاريخ، عده بوبر تفسير تاريخاني قائم على النبوءة التاريخية.

4- مهما تشعبت، واختلف المواضيع التي قام بوبر بدراستها، الا ان الفكرة بقي متماسكا، وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا له، فلا يمكن ابدا ان نستوعب الفكر السياسي لبوبر دون العودة الى دراساته العلمية.

5- تحليل ودراسة بوبر للتاريخانية، مرتبط بدراسته للمجتمع، وتغيراته، فبوبر اهتم بالتغير الاجتماعي، واصر على ضرورة الاعتراف بهذا التغير.

6- نقد بوبر للتاريخانية هو تعليل لليبرالية ضد الشمولية، فان الليبرالية، والشمولية يظهران كنظامين متضادين، من الناحية السياسية، والاقتصادية، والفلسفية.

7- نقد التاريخانية هو نقد للصورة المغلقة للكون القائمة على فكرة الحتمية التي رفضتها العقلانية البوبرية لشموليتها، وتعميمها التعسفي، وهذا ما لاحظناه قي مؤلف بوبر" المجمتع المفتوح واعداؤه.

8- من خلال النقد الذي مارسه بوبر على التاريخانية نستطيع القول انه حاول الوصول الى شيء يوحد بين المناهج العلوم الطبيعية ، ومناهج العلوم الاجتماعية عن طريق ما يسمى بوحدة المنهج لفك التعرض الذي حصل بين التاريخيين، والطبيعيين.

المصادر والمراجع

. بوبر، كارل : المجتمع المفتوح وأعداؤه ، ج 1، الترجمة : السيد تفادي، دار تنوير، ط1، بيروت_ لبنان، 1998.

. بوبر، كارل، عقم المذهب التاريخي ، الترجمة : عبد الحميد صبرة ، المعارف ، ب، ط ، مصر ، 1959 .

. بوبر، كارل: أسطورة الإطار (في الدفاع عن العلم والعقلانية) الترجمة : يمنى طريف الخولي ، مجلس الوطني للثقافة ، ب ، ط ، قاهرة ، 2003.

. بوبر، كارل: الحياة بأسرها حلول لمشاكل، ، الترجمة : بهاء درويش ، ب،ط، الإسكندرية، مصر، 1994.

. بوبر، كارل: النفس ودماغها، الترجمة: عادل مصطفى، دار الرؤية للنشر وتوزع، ط1، قاهرة، 2012.

. بوبر، كارل: بحثا عن عالم أفضل، الترجمة: احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب،ط، مصر، 1999.

. بوبر، كارل: بؤس الايدولوجيا ، الترجمة: عبد الحميد صبره ، دار الساقي ، ط1، ب،م ، 1992.

. بوبر، كارل: درس القرن العشرين ، الترجمة : لخضر مذبوح ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1 ، 2008.

. بوبر، كارل: منطق البحث العلمي، ترجمة: محمد البغدادي، مركز دراسات الوحدة الغربية، ط10، فرنسا، 2007.

. حمداش ، سعاد (ايبيستمولوجيا الفكر السياسي لكارل بوبر) الفلسفة السياسية المعاصرة ، إشراف علي عبود المحمداوي ، ابن نديم للنشر وتوزيع ، ط1، بيروت ، 2012.

. كوينتون ، انطوني إعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ترجمة : نصار عبد الله الهيئة المصرية ، مصر، ب، ت،.

. مذبوح: لخضر، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر ،2009. .

Sources and references:

Popper, Karl: The Open Society and Its Enemies, Part 1, Translation: Mr. Tanav, Dar Tanweer, 1st Edition, Beirut – Lebanon, 1998.

.Popper, Karl the sterility of the historical doctrine, translation: Abdul Hamid Sabra, Al-Maaref, b, i, Egypt, 1959.

.Popper, Karl: The Legend of the Frame (In Defense of Science and Rationality) Translation: Youmna Tarif Al-Khouli, The National Council for Culture, B, I, Cairo, 2003.

.Popper, Karl: Whole Life is Solutions to Problems, Karl Popper, Whole Life is Solution to Problems, translation: Bahaa Darwish, B,T, Alexandria, Egypt, 1994.

.Popper, Karl: The Soul and Its Brain, Translated by: Adel Mustafa, Dar Al-Rou'a for Publishing and Distribution, 1st Edition, Cairo, 2012.

.Popper, Karl: In Search of a Better World, translation: Ahmed Mostagir, The Egyptian General Book Organization, b, i, Egypt, 1999.

.Popper, Karl: The Misery of Ideology, translated by: Abdel Hamid Sabra, Dar Al-Saqi, ed 1, b, m, 1992.

-Popper, Karl: Lesson of the Twentieth Century, translation: Lakhdar Mazbouh, Publications of Difference, Algeria, 1st Edition, 2008.

.Popper, Karl: The Logic of Scientific Research, translation: Muhammad Al-Baghdadi, Center for Western Unity Studies, 10th Edition, France, 2007.

.Hamdash, Souad (The Epistemology of Political Thought by Karl Popper) Contemporary Political Philosophy, supervised by Ali Aboud Al-Muhammadawi, Ibn Nadim for publication and distribution, 1, Beirut, 2012

. Quinton, Anthony, Media of Contemporary Political Philosophy, TR: Nassar Abdullah, The Egyptian Authority, Egypt, B, T,

. Slaughtered: Lakhdar, The Idea of Unfolding in the Philosophy of Karl Popper, Publications of Difference, 1st Edition, Algeria, 2009.